الإسْرَاءُ وَالمِعْرَاجُ

يقصد بالإسراء الرحلة التى أكرم الله بها نبيه من المسجد الحرام بمكة إلى المسجد الأقصى بالقدس ، أما المعراج فهو ما أعقب ذلك من العروج به إلى طبقات السماوات العلا ثم الوصول به إلى حد انقطعت عنده علوم الخلائق .

وقد اختلف فى ضبط تاريخ هذه المعجزة هل كانت فى العام العاشر من بعثته ﷺ ، أم بعد ذلك . . والذى رواه بن سعد فى طبقاته الكبرى أنها كانت قبل الهجرة بثمانية عشر شهرًا[١] .

وقد ذهب جمهور العلماء إلى أن الإسراء والمعراج وقعا فى ليلة واحدة فى اليقظة بجسده وروحه ﷺ ودليل ذلك استعظام مشركى قريش لذلك ، وتعجبهم للخبر وسرعة تكذيبهم له ؛ لأن الرؤيا لا حدود لها ولا تستدعى الاستعظام والاستنكار[٢] .

قِصَّةُ الإسْرَاءِ وَالمِعْرَاجِ:

قَالَ الإِمَامُ أَحْمَدُ: عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ[٣]: «أُتِيتُ بِالْبُرَاقِ وَهُوَ دَابَّةٌ أَبْيَضُ فَوْقَ الْحِمَارِ وَدُونَ الْبَغْلِ يَضَعُ حَافِرَهُ عِنْدَ مُنْتَهَى طَرْفِهِ فَرَكِبْتُهُ فَسَارَ بِي حَتَّى أَتَيْتُ بَيْتَ الْمَقْدِسِ فَرَبَطْتُ الدَّابَّةَ بِالْحَلْقَةِ الَّتِي يَرْبِطُ فِيهَا الأَنْبِيَاءُ ثُمَّ دَخَلْتُ فَصَلَّيْتُ فِيهِ رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ خَرَجْتُ فَجَاءَنِي جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلام بِإِنَاءٍ مِنْ خَمْرٍ وَإِنَاءٍ مِنْ لَبَنٍ فَاخْتَرْتُ اللَّبَنَ قَالَ جِبْرِيلُ: أَصَبْتَ الْفِطْرَةَ ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ فَقِيلَ: وَمَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: جِبْرِيلُ قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ فَقِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِآدَمَ فَرَحَّبَ وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ الثَّانِيَةِ فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ فَقِيلَ: وَمَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: جِبْرِيلُ فَقِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ فَقِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ قَالَ: فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِابْنَيِ الْخَالَةِ يَحْيَى وَعِيسَى فَرَحَّبَا وَدَعَوَا لِي بِخَيْرٍ ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ الثَّالِثَةِ فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ فَقِيلَ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: جِبْرِيلُ فَقِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ ﷺ فَقِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِيُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلام وَإِذَا هُوَ قَدْ أُعْطِيَ شَطْرَ الْحُسْنِ فَرَحَّبَ وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ الرَّابِعَةِ فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ فَقِيلَ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: جِبْرِيلُ قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ

---

(١) فقه السيرة للبوطي ص ١١٥ .

(٢) فقه السيرة للبوطي ص ١٢١ .

(٣) (صحيح) أحمد ١٢٠٩٦ .

فَقِيلَ: قَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ فَفُتِحَ الْبَابُ فَإِذَا أَنَا بِإِدْرِيسَ فَرَحَّبَ بِي وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ ثُمَّ قَالَ: يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ الْخَامِسَةِ فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ فَقِيلَ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، فَقِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ فَقِيلَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِهَارُونَ فَرَحَّبَ وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ السَّادِسَةِ فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ فَقِيلَ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: جِبْرِيلُ قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ فَقِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِمُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ فَرَحَّبَ وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ فَقِيلَ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: جِبْرِيلُ قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِإِبْرَاهِيمَ ﷺ وَإِذَا هُوَ مُسْتَنِدٌ إِلَى الْبَيْتِ الْمَعْمُورِ وَإِذَا هُوَ يَدْخُلُهُ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ لَا يَعُودُونَ إِلَيْهِ ثُمَّ ذَهَبَ بِي إِلَى سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى وَإِذَا وَرَقُهَا كَآذَانِ الْفِيَلَةِ وَإِذَا ثَمَرُهَا كَالْقِلَالِ فَلَمَّا غَشِيَهَا مِنْ أَمْرِ اللَّهِ مَا غَشِيَهَا تَغَيَّرَتْ فَمَا أَحَدٌ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَصِفَهَا مِنْ حُسْنِهَا قَالَ: فَأَوْحَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَيَّ مَا أَوْحَى وَفَرَضَ عَلَيَّ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ خَمْسِينَ صَلَاةً فَنَزَلْتُ حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى مُوسَى فَقَالَ: مَا فَرَضَ رَبُّكَ عَلَى أُمَّتِكَ؟ قَالَ: قُلْتُ: خَمْسِينَ صَلَاةً فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ قَالَ: ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ؛ فَإِنَّ أُمَّتَكَ لَا تُطِيقُ ذَلِكَ وَإِنِّي قَدْ بَلَوْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَخَبَرْتُهُمْ قَالَ: فَرَجَعْتُ إِلَى رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ فَقُلْتُ: أَيْ رَبِّ خَفِّفْ عَنْ أُمَّتِي فَحَطَّ عَنِّي خَمْسًا فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى فَقَالَ: مَا فَعَلْتَ؟ قُلْتُ: حَطَّ عَنِّي خَمْسًا قَالَ: إِنَّ أُمَّتَكَ لَا تُطِيقُ ذَلِكَ فَارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ لِأُمَّتِكَ قَالَ: فَلَمْ أَزَلْ أَرْجِعُ بَيْنَ رَبِّي وَبَيْنَ مُوسَى وَيَحُطُّ عَنِّي خَمْسًا خَمْسًا حَتَّى قَالَ: يَا مُحَمَّدُ هِيَ خَمْسُ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ بِكُلِّ صَلَاةٍ عَشْرٌ فَتِلْكَ خَمْسُونَ صَلَاةً وَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كُتِبَتْ حَسَنَةً فَإِنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ عَشْرًا وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا لَمْ تُكْتَبْ شَيْئًا فَإِنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ سَيِّئَةً وَاحِدَةً فَنَزَلْتُ حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى مُوسَى فَأَخْبَرْتُهُ فَقَالَ: ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ لِأُمَّتِكَ فَإِنَّ أُمَّتَكَ لَا تُطِيقُ ذَاكَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: لَقَدْ رَجَعْتُ إِلَى رَبِّي حَتَّى لَقَدْ اسْتَحْيَيْتُ وَلَكِنْ أَرْضَى وَأُسَلِّمُ».

هَلْ رَأَى النَّبِيُّ ﷺ رَبَّهُ عَزَّ وَجَلَّ؟!

ذكر ابن القيم خلافًا في رؤيته ﷻ ربّه تبارك وتعالى؛ ثم ذكر كلامًا لابن تيمية بهذا الصدد، وحاصل البحث أن الرؤية بالعين لم تثبت أصلاً، وهو قول لم يقله أحد من الصحابة، وما نقل عن ابن عباس من رؤيته مطلقاً ورؤيته بالفؤاد فالأول لا ينافي

الثانى[١]، وصح عن عائشة وابن مسعود إنكار ذلك، وقالا: إن قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾﴾ [النجم: ١٣ - ١٤] إنما هو جبريل، وصح عن أبى ذر أنه سأله: هل رأيت ربك؟ فقال: «نور أنى أراه» أى: حال بينى وبين رؤيته النور كما قال فى لفظ آخر: «رأيت نورًا»[٢] وقد جاء فى بعض الطرق أن صدره ﷺ شُقَّ فى هذه المرة أيضًا[٣].

بَعْضُ مَا رَآهُ النَّبِيُّ ﷺ:

عن قَتَادَةَ حَدَّثَنَا أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ[٤]: «**بَيْنَمَا أَنَا أَسِيرُ فِي الْجَنَّةِ إِذَا أَنَا بِنَهَرٍ حَافَتَاهُ قِبَابُ الدُّرِّ الْمُجَوَّفِ قُلْتُ مَا هَذَا يَا جِبْرِيلُ؟ قَالَ هَذَا الْكَوْثَرُ الَّذِي أَعْطَاكَ رَبُّكَ فَإِذَا طِينُهُ أَوْ طِيبُهُ مِسْكٌ أَذْفَرُ**».

ورأى أربعة أنهار يخرجن من أصل سدرة المنتهى؛ نهران ظاهران ونهران باطنان فالظاهران: هما النيل والفرات عنصرهما والباطنان: نهران في الجنة ولعل رؤية النيل والفرات كانت إشارة إلى تمكن الإسلام من هذين القطرين والله أعلم.

عن أبى سعيد الخدرى قال: قال رسول الله ﷺ: «**رأيت رجالاً لهم مشافر كمشافر الإبل[٥] فى أيديهم قطع من نار كالأفهار[٦] يقذفونها فى أفواههم فتخرج من أدبارهم فقلت: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء أكلة أموال اليتامى ظلمًا**».

قال: «**ثم رأيت رجالاً لهم بطون لم أر مثلها قط بسبيل آل فرعون يمرون عليهم كالإبل المهيومة[٧] حين يعرضون على النار يطئونهم لا يقدرون على أن يتحولوا من مكانهم ذلك. قلت: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء أكلة الربا**».

قال: «**ثم رأيت رجالاً بين أيديهم لحم ثمين طيب إلى جنبه لحم غث منتن[٨] يأكلون من الغث**

---

(١) الرحيق المختوم ص ١٣٦.
(٢) سيرة الرسول لأبي عمار ص ١٦٩.
(٣) الرحيق المختوم ص ١٣٦.
(٤) البخاري ٦٥٨١.
(٥) شفاه المشافر في الإبل كالشفاه بالنسبة للإنسان.
(٦) الأفهار: الأحجار.
(٧) العطش.
(٨) المهزول الضعيف.

المتن ويتركون السمين الطيب.قلت: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء الذين يتركون ما أحل الله لهم من النساء ويذهبون إلى ما حرم الله عليهم منهن، قال: ثم رأيت نساء معلقات بثديهن فقلت: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء اللاتى أدخلن على الرجال من ليس من أولادهم».

ورأى عيرًا من أهل مكة فى الإياب والذهاب ، وقد دلهم على بعير نَدَّ لهم ، وشرب ماءهم من إناء مغطًى وهم نائمون ، ثم ترك الإناء مغطى ، وقد صار ذلك دليلاً على صدق دعواه فى صباح ليلة الإسراء[1] .

اللَّهُ - عَزَّوَجَلَّ - يُجَلِّى بَيْتَ المَقْدِسِ لِلنَّبِيِّ ﷺ :

فلما أصبح رسول الله ﷺ فى قومه أخبرهم بما أراه الله - عز وجل- من آياته الكبرى ، فاشتد تكذيبهم له وأذاهم وضراوتهم عليه ، وسألوه أن يصف لهم بيت المقدس ، فجلاه الله له ؛ حتى عاينه ، فطفق يخبرهم عن آياته ، ولا يستطيعون أن يردوا عليه شيئًا ، وأخبرهم عن عيرهم فى مسراه ورجوعه ، وأخبرهم عن وقت قدومها وأخبرهم عن البعير الذى يقدمها ، وكان الأمر كما قال ، فلم يزدهم ذلك إلا نفورًا ، وأبى الظالمون إلا كفورًا .

مَوْقِفُ الصِّدِّيقِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - فِي قِصَّةِ الإِسْرَاءِ وَالمعْرَاجِ:

ولما كانت رحلة الإسراء والمعراج جاء المشركون إلى أبى بكر فقالوا له: إن صاحبك يزعم أنه أسرى به إلى المسجد الأقصى فى الليلة الماضية ، ونحن نقطع أكباد الإبل إليها فى شهر كامل فقال أبو بكر: إن كان قال فقد صدق ، وفى رواية: وبادر الصديق إلى التصديق وقال: إنى لأصدقه فى خبر السماء بكرة وعشيَّة ، أفلا أصدقه فى بيت المقدس؟! ولذلك يقال: إن أبا بكر سُمِّى صدِّيقًا من حادثة الإسراء والمعراج ؛ لأن النبى ﷺ قال ليلة أسرى به لجبريل: «**إن قومى لا يصدقونى**» فقال له جبريل: يصدقك أبو بكر وهو الصديق[2] .

وفى صبيحة ليلة الإسراء جاء جبريل وعلم رسول الله ﷺ كيفية الصلاة وأوقاتها ، وكان ﷺ قبل مشروعية الصلاة يصلى ركعتين صباحًا ، ومثليهما مساءً كما كان يفعل

---

(١) ابن هشام ١ - ٢٥١ ، الرحيق المختوم ص ١٣٧ ، سيرة الرسول أبو عمار ص ١٧٠ .
(٢) سيرة الرسول أبو عمار ١٦٩ - ١٧١ .

إبراهيم عليه السلام[١] .

العِبَرُ والعِظَاتُ:

تنطوى حادثة الإسراء والمعراج على العديد من العبر والعظات منها:

١- معجزة الإسراء والمعراج تؤكد نبوته ﷺ لأن المعجزات الخارقة لا تتسنَّى إلا للأنبياء .

جاءت ضيافة الإسراء والمعراج للرسول ﷺ بعد المحن الكثيرة التى لاقاها من قريش وفى رحلة الطائف تكريم من الله عز وجل له وتجديد لعزيمته .

إسراؤه ﷺ إلى بيت المقدس بيان لمدى ما لهذا البيت من مكانة وقدسية عند الله عز وجل وكذلك ضرورة حفاظ المسلمين على هذه الأرض المقدسة فى كل عصر .

وفى اختيار النبى ﷺ اللبن على الخمر حينما قدمهما له جبريل عليه السلام دلالة رمزية على أن الإسلام هو دين الفطرة[٢] .

بَيْعَةُ العَقَبَةِ الأُولَى:

قد ذكرنا أن ستة نفر من أهل يثرب أسلموا فى موسم الحج سنة ١١ من النبوة ، ووعدوا رسول الله ﷺ بإبلاغ رسالته فى قومهم .

وكان من جراء ذلك أن جاء فى الموسم التالى موسم الحج سنة ١٢ من النبوة يوليو سنة ٦٢١م - اثنا عشر رجلاً فيهم خمسة من الستة الذين كانوا قد التقوا برسول الله ﷺ فى العام السابق - والسادس الذى لم يحضر هو جابر بن عبد الله بن رئاب- وسبعة سواهم ، وهم:

معاذ بن الحارث بن عفراء من بنى النجار (من الخزرج)

ذكوان بن عبد القيس من بنى زريق (،،،،)

عبادة بن الصامت من بنى غنم (،،،،)

يزيد بن ثعلبة من حلفاء بنى غنم (،،،،)

العباس بن عبادة بن نضلة من بنى سالم (،،،،)

---

(١) فقه السيرة للبوطي ص ١١٦ .

(٢) فقه السيرة للبوطي مختصرا ١١٦ - ١٢٢ .

أبو الهيثم بن التيهان من بنى عبد الأشهل (من الأوس)

عويمر بن ساعدة من بنى عمرو بن عوف (،،،،)

التقى هؤلاء برسول الله ﷺ عند العقبة بمنى فبايعوه بيعة النساء أي: وفق بيعتهن التى نزلت بعد الحديبية.

روى البخارى عن عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ وهو مِنَ الَّذِينَ شَهِدُوا بَدْرًا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَمِنْ أَصْحَابِهِ لَيْلَةَ الْعَقَبَةِ أَخْبَرَهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «**وَحَوْلَهُ عِصَابَةٌ مِنْ أَصْحَابِهِ تَعَالَوْا بَايِعُونِي عَلَى أَنْ لا تُشْرِكُوا بِاللَّهِ شَيْئًا وَلا تَسْرِقُوا وَلا تَزْنُوا وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ وَلا تَأْتُوا بِبُهْتَانٍ تَفْتَرُونَهُ بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَأَرْجُلِكُمْ وَلا تَعْصُونِي فِي مَعْرُوفٍ فَمَنْ وَفَى مِنْكُمْ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فَعُوقِبَ بِهِ فِي الدُّنْيَا فَهُوَ لَهُ كَفَّارَةٌ وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فَسَتَرَهُ اللَّهُ فَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ إِنْ شَاءَ عَاقَبَهُ وَإِنْ شَاءَ عَفَا عَنْهُ**»[1]، قال: فبايعته، وفي نسخة: فبايعناه على ذلك»[2].

سَفِيرُ الدَّعْوَةِ الأُولَى إِلَى المَدِينَةِ:

وبعد أن تمت البيعة وانتهى الموسم بعث النبى ﷺ مع هؤلاء المبايعين مصعب بن عمير - أول سفير فى الإسلام - ليقرئهم القرآن ويعلمهم الإسلام ويفقههم فى الدين، ويقوم بنشر الإسلام بين الذين لم يزالوا على الشرك فكان يسمى بمقرئ المدينة وقد نزل على أسعد بن زرارة.

قال ابن إسحاق: فحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة: أنه كان يصلى بهم وذلك أن الأوس والخزرج كره بعضهم أن يؤمه بعض[3].

نَجَاحُ مُصْعَبٍ فِي مُهِمَّتِهِ:

قال ابن إسحاق: حدثنى عبد الله بن المغيرة بن معيقب وعبد الله بن أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم: أن أسعد بن زرارة خرج بمصعب بن عمير يريد به دار بنى عبد الأشهل ودار بنى ظفر، وكان سعد بن معاذ بن النعمان بن امرئ القيس بن زيد بن عبد

---

(١) البخاري ٣٨٩٢.

(٢) الرحيق المختوم ص ١٣٩.

(٣) ابن هشام ١ / ٢٦٩، الرحيق المختوم ١٣٩ / ١٤٠.

الأشهل ابن خالة أسعد بن زرارة فدخل حائطًا من حوائط بنى ظفر ، قالا: على بئر يقال لها بئر مَرَق فجلسا فى الحائط واجتمع إليهما رجال ممن أسلم وسعد بن معاذ وأسيد بن حضير يومئذ سيدا قومهما من بنى عبد الأشهل وكلاهما مشرك على دين قومه فلما سمعا به قال سعد بن معاذ لأسيد بن حضير لا أبا لك ، انطلق إلى هذين الرجلين اللذين قد أتيا دارينا ؛ ليسفها ضعفاءنا فازجرهما وانههما على أن يأتيا دارينا ؛ فإنه لولا أن أسعد بن زرارة منى حيث قد علمت كفيتك ذلك هو ابن خالتى ولا أجد عليه مقدمًا ، قال: فأخذ أسيد بن حضير حربته ثم أقبل إليها فلما رآه أسعد بن زرارة قال لمصعب بن عمير: هذا سيد قومه قد جاءك فاصدق الله فيه ، قال مصعب: إن يجلس أكلمه ، قال: فوقف عليهما متشتمًا فقال: ما جاء بكما إلينا تسفهان ضعفاءنا؟ اعتزلانا إن كانت لكما بأنفسكما حاجة ، فقال له مصعب: أو تجلس فتسمع فإن رضيت أمرًا قبلته وإن كرهته كف عنك ما تكره ، قال: أنصفت ثم ركز حربته وجلس إليهما فكلمه مصعب بالإسلام وقرأ عليهما القرآن فقالا فيما يذكر عنهما: والله لعرفنا في وجهه الإسلام قبل أن يتكلم فى إشراقه وتسهله ، ثم قال: ما أحسن هذا الكلام وأجمله! كيف تصنعون إذا أردتم أن تدخلوا فى هذا الدين؟ قالا له: تغتسل فتتطهر وتطهر ثوبك ثم تشهد شهادة الحق ، ثم تصلى فقام فاغتسل وطهر ثوبه وتشهد شهادة الحق ثم قام فركع ركعتين ثم قال لهما: إن ورائى رجلاً إن اتبعكما لم يتخلف عنه أحد من قومه وسأرسله إليكما الآن سعد بن معاذ .

ثم أخذ حربته وانصرف إلى سعد وقومه وهم جلوس فى ناديهم فلما نظر إليه سعد ابن معاذ مقبلاً ؛ قال: أحلف بالله لقد جاءكم أسيد بغير الوجه الذى ذهب به من عندكم ؛ فلما وقف على النادى قال له سعد: ما فعلت؟ قال: كلمت الرجلين فوالله ما رأيت بهما بأسًا وقد نهيتهما فقالا: نفعل ما أحببت وقد حدثت أن بنى حارثة قد خرجوا إلى أسعد بن زرارة ؛ ليقتلوه وذلك أنهم قد عرفوا أنه ابن خالتك ليُخفِرُوك .

قال: فقام سعد مغضبًا مبادرًا تخوفًا للذى ذكر له من بنى حارثة فأخذ الحربة من يده ثم قال: والله ما أراك أغنيت شيئًا ثم خرج إليهما ، فلما رآهما سعد مطمئنين عرف سعد أن أسيدًا إنما أراد منه أن يسمع منهما فوقف عليهما متشتمًا ثم قال لأسعد بن زرارة: يا أبا أمامة (أما والله) لولا ما بينى وبينك من القرابة ما رمت[1] . هذا منى ، أتغشانا فى

(١) رامت الشيء أي: طلبته .

دارينا بما نكره - وقد قال أسعد بن زرارة لمصعب بن عمير: أي مصعب جاءك والله سيد من وراء قومه ، إن يتبعك لا يتخلف عنك منهم اثنان ، قال له مصعب: أو تقعد فتسمع فإن رضيت أمرًا ورغبت فيه قبلته ، وإن كرهته عزلنا عنك ما تكره قال سعد: أنصفت ثم ركز الحربة وجلس فعرض عليه الإسلام قبل أن يتكلم لإشراقه وتسهله ثم قالا لهما: كيف تصنعون إذا أنتم أسلمتم ودخلتم فى هذا الدين؟ .

قالا: تغتسل فتتطهر وتطهر ثوبك ثم تشهد شهادة الحق ثم تصلى ركعتين قال: فقام فاغتسل وطهر ثوبه وتشهد شهادة الحق ثم ركع ركعتين ثم أخذ حربته فأقبل عامدًا إلى نادى قومه ومعه أسيد بن حضير .

قال: فلما رآه قومه مقبلاً قالوا: نحلف بالله لقد رجع إليكم سعد بغير الوجه الذى ذهب به من عندكم فلما وقف عليهم قال: يا بنى عبد الأشهل كيف تعلمون أمرى فيكم؟ قالوا: سيدنا (وأوصلنا) وأفضلنا رأيًا وأيمننا نقيبة [1] .

قال: فإن كلام رجالكم ونسائكم علىَّ حرام ؛ حتى تؤمنوا بالله ورسوله ، قالا: فوالله ما أمسى فى دار بنى عبد الأشهل رجل ولا امرأة إلا مسلمًا ومسلمة ورجع أسعد ومصعب إلى منزل أسعد بن زرارة فأقام عنده يدعو الناس إلى الإسلام ؛ حتى لم تبق دار من دور الأنصار إلا فيها رجال ونساء مسلمون إلا ما كان من بنى أمية بن زيد ، وخطمة ووائل ، وواقف ، وهم من الأوس بن حارثة وذلك أنه كان فيهم أبو قيس بن الأسلت واسمه صيفى وكان شاعرًا لهم قائدًا يستمعون منه ويطيعونه فوقف بهم عن الإسلام ؛ حتى كان بعد الخندق[2] . وقبل حلول موسم الحج التالى- أي: حج السنة الثالثة عشرة - عاد مصعب بن عمير إلى مكة يحمل إلى رسول الله ﷺ بشائر الفوز ويقص عليه خبر قبائل يثرب وما فيها من مواهب الخير وما لها من قوة ومنعة[3] .

بَيْعَةُ العَقَبَةِ الثَّانِيَةِ:

في موسم الحج في السنة الثالثة عشرة من النبوة - يونيو سنة ٦٢٢م- حضر لأداء مناسك الحج بضع وسبعون نفسًا من المسلمين من أهل يثرب جاءوا ضمن حجاج

---

(١) منجح الفعال وظف المطالب ، والنقيبة: النفس وقيل الطبيعة أو الخليقة .
(٢) ابن هشام ١ / ٢٦٩ - ٢٧٢ ، سيرة الرسول أبو عمار ١٧٧ - ١٧٩ .
(٣) الرحيق المختوم ص ١٤١ .

قومهم من المشركين، وقد تساءلوا فيما بينهم؛ حتى متى نترك رسول الله ﷺ يطوف ويطرد في جبال مكة ويخاف؟! فلما قدموا مكة جرت بينهم وبين النبي ﷺ اتصالات سرية أدت إلى اتفاق الفريقين على أن يجتمعوا في أوسط أيام التشريق في الشعب الذي عند العقبة حيث الجمرة الأولى من منى، وأن يتم الاجتماع في سرية تامة في ظلام الليل.

وقد وصف كعب بن مالك الأنصاري هذا الاجتماع قائلاً: خرجنا إلى الحج وواعدنا رسول الله ﷺ بالعقبة من أوسط أيام التشريق، فلما فرغنا من الحج وكانت الليلة التى واعدنا رسول الله ﷺ لها، ومعنا عبد الله بن عمرو بن حرام أبو جابر، سيد من سادتنا، وشريف من أشرافنا أخذناه معنا - وكنا نكتم من معنا من قومنا من المشركين أمرنا - فكلمناه، وقلنا له: يا أبا جابر، إنك سيد من سادتنا، وشريف من أشرافنا، وإنا نرغب بك عما أنت فيه أن تكون حطبًا للنار غدًا، ثم دعوناه إلى الإسلام، وأخبرناه بميعاد رسول الله ﷺ إيانا العقبة، فأسلم وشهد معنا العقبة وكان نقيبًا.

قال كعب: فنمنا تلك الليلة مع قومنا في رحالنا؛ حتى إذا مضى ثلث الليل خرجنا من رحالنا لميعاد رسول الله ﷺ، نتسلل تسلل القطا مستخفين؛ حتى اجتمعنا في الشعب عند العقبة، ونحن ثلاثة وسبعون رجلاً، وامرأتان من نسائنا وهما نسيبة بنت كعب - أم عمارة من بنى مازن بن النجار، وأسماء بنت عمرو- أم منيع - من بنى سلمة[1].

العَبَّاسُ يَتَوَثَّقُ لِلنَّبِيِّ ﷺ:

قال كعب: فاجتمعنا في الشعب ننتظر رسول الله ﷺ حتى جاءنا ومعه (عمه) العباس بن عبد المطلب وهو يومئذ على دين قومه، إلا أنه أحب أن يحضر أمر ابن أخيه ويتوثق له، فلما جلس كان أول متكلم العباس، فقال: - يا معشر الخزرج- وكان العرب إنما يسمون الأنصار خزرجًا؛ فخزرجها وأوسها كلاهما، إن محمدًا منا حيث قد علمتم وقد منعناه من قومنا ممن هو على مثل رأينا فيه فهو فى عز من قومه ومنعة فى بلده، وإنه قد أبى إلا الانحياز إليكم واللحوق بكم؛ فإن كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتموه إليه ومانعوه ممن خالفه فأنتم وما تحملتم من ذلك، وإن كنتم ترون أنكم مسلموه وخاذلوه بعد الخروج به إليكم فمن الآن فدعوه؛ فإنه فى عز ومنعة من قومه

(١) الرحيق المختوم ص ١٤٢.

وبلده قال: فقلنا له: قد سمعنا ما قلت فتكلم يا رسول الله ﷺ فخذ لربك ولنفسك ما أحببت [١].

عَهْدُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَلَى الأَنْصَارِ:

روى الإمام أحمد عن جابر مفصلاً قال جابر: فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ عَلامَ نُبَايِعُكَ قَالَ: «**تُبَايِعُونِي عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي النَّشَاطِ وَالْكَسَلِ وَعَلَى النَّفَقَةِ فِي الْعُسْرِ وَالْيُسْرِ وَعَلَى الأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنْ الْمُنْكَرِ وَعَلَى أَنْ تَقُولُوا فِي اللَّهِ لا تَأْخُذُكُمْ فِيهِ لَوْمَةُ لائِمٍ وَعَلَى أَنْ تَنْصُرُونِي إِذَا قَدِمْتُ يَثْرِبَ فَتَمْنَعُونِي مِمَّا تَمْنَعُونَ مِنْهُ أَنْفُسَكُمْ وَأَزْوَاجَكُمْ وَأَبْنَاءَكُمْ وَلَكُمْ الْجَنَّةُ**»[٢].

وفي رواية كعب البند الأخير فقط من هذه البنود ففيه قال كعب: فتكلم رسول الله ﷺ فتلا القرآن ودعا إلى الله ورغب في الإسلام ثم قال: «**أبايعكم على أن تمنعوني مما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم**» فأخذ البراء بن معرور بيده ثم قال: نعم، والذي بعثك بالحق نبيا لنمنعنك مما نمنع أزرنا منه[٣].

فبايعنا يا رسول ﷺ فنحن والله أبناء الحرب وأهل الحلقة[٤] ورثناها كابرًا عن كابر قال: فاعترض القول والبراء يكلم رسول الله ﷺ أبو الهيثم بن التيهان فقال: يا رسول الله، إن بيننا وبين الرجال حبالاً وإنا قاطعوها - يعني: اليهود، فهل عسيت إن نحن فعلنا ذلك ثم أظهرك الله أن ترجع إلى قومك وتدعنا؟ قال: فتبسم رسول الله ﷺ ثم قال: «**بل الدم الدم[٥]، والهدم الهدم أنا منكم وأنتم مني، أحارب من حاربتم، وأسالم من سالمتم**» [٦].

التَّأْكِيدُ مِنْ خُطُورَةِ البَيْعَةِ:

قال ابن إسحاق: حدثني عاصم بن قتادة: أن القوم لما اجتمعوا لبيعة رسول الله ﷺ قال العباس بن عبادة بن نضلة الأنصاري: يا معشر الخزرج هل تدرون علام تبايعون

---

(١) ابن هشام ١ / ٢٧٤ - ٢٧٥.
(٢) مسند أحمد ١٤٢٤٣.
(٣) الأزر: الثياب والمقصود النساء أو الأنفس.
(٤) الحلقة: السلاح.
(٥) الدم الدم والهدم الهدم: دمي دمك، وما تهدمه أنت أهدمه أنا.
(٦) ابن هشام ١ / ٢٧٥، الرحيق المختوم ١٤٣ - ١٤٤.

هذا الرجل؟ قالوا: نعم، قال: إنكم تبايعونه على حرب الأحمر والأسود من الناس؛ فإن كنتم ترون أنكم إذا نهكت أموالكم مصيبة وأشرافكم قتلاً أسلمتموه؛ فمن الآن فهو الله إن فعلتم خزى الدنيا والآخرة وإن كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتموه إليه على نهكة الأموال[١] وقتل الأشراف فخذوه؛ فهو والله خير الدنيا والآخرة قالوا: فإنا نأخذه على مصيبة الأموال وقتل الأشراف فما لنا بذلك يا رسول الله ﷺ إن نحن وفينا (بذلك)؟ قال: «الجنة» قالوا: ابسط يدك فبسط يده فبايعوه [٢] وفى رواية جابر قال: فقمنا نبايعه فأخذ بيده أسعد بن زرارة - وهو أصغر السبعين- فقال: رويدًا يا أهل يثرب إنا لم نضرب إليه أكباد الإبل إلا ونحن نعلم أنه رسول الله ﷺ وأن إخراجه اليوم مفارقة العرب كافة، وقتل خياركم وأن تعضكم السيوف؛ فإما أنتم تصبرون على ذلك فخذوه، وأجركم على الله وإما أنتم تخافون من أنفسكم خيفة فذروه فهو أعذر لكم عند الله[٣].

عَقْدُ البَيْعَةِ:

وبعد إقرار بنود البيعة، وبعد هذا التأكيد والتأكد بدأ عقد البيعة بالمصافحة، قال جابر - بعد أن حكى قول أسعد بن زرارة - قال: فقالوا: يا أسعد، أمط عنا يدك، فوالله لا نذر هذه البيعة، ولا نستقيلها.

وحينئذ عرف أسعد مدى استعداد القوم للتضحية في هذا السبيل وتأكد منه - وكان هو الداعية الكبير مع مصعب بن عمير - فكان هو السابق إلى هذه البيعة، قال ابن إسحاق: فبنو النجار يزعمون أن أبا أمامة أسعد بن زرارة كان أول من ضرب على يده، وبعد ذلك بدأت البيعة العامة قال جابر: فقمنا إليه رجلاً رجلاً فأخذ علينا البيعة، يعطينا بذلك الجنة، وأما بيعة المرأتين اللتين شهدتا الوقعة فكانت قولاً، فما صافح رسول الله ﷺ امرأة أجنبية قط[٤].

نقباءُ القَوْمِ:

وبعد أن تمت البيعة طلب رسول الله ﷺ أن يختاروا اثنى عشر زعيمًا يكونون نقباء

---

(١) نهكة الأموال: نقصها.
(٢) ابن هشام ١ / ٢٧٦.
(٣) الرحيق المختوم ١٤٤ - ١٤٥.
(٤) الرحيق المختوم ١٤٤ - ١٤٥.

على قومهم يكفلون المسئولية عنهم في تنفيذ بنود هذه البيعة ، فقال للقوم: «**أخرجوا إليَّ منكم اثنى عشر نقيبًا؛ ليكونوا على قومهم بما فيهم**» فأخرجوا منهم اثنى عشر نقيبًا تسعة من الخزرج ؛ وثلاثة من الأوس وهاك أسماؤهم:

نُقَبَاءُ الخَزْرَجِ:

١- أسعد بن زرارة بن عدس .

٢- سعد بن الربيع بن عمرو .

٣- عبد الله بن رواحة بن ثعلبة .

٤- رافع بن مالك بن العجلان .

٥- البراء بن معرور بن صخر .

٦- عبد الله بن عمرو بن حرام .

٧- عبادة بن الصامت بن قيس .

٨- سعد بن عبادة بن دليم .

٩- المنذر بن عمرو بن خنيس .

نُقَبَاءُ الأَوْسِ

١- أسيد بن حضير بن سماك .

٢- سعد بن خثيمة بن الحارث .

٣- رفاعة بن عبد المنذر بن زبير .

ولما تم اختيار هؤلاء النقباء أخذ عليهم النبى ﷺ ميثاقًا آخر بصفتهم رؤساء مسئولين قال لهم: «**أنتم على قومكم بما فيهم كفلاً، ككفالة الحواريين لعيسى ابن مريم وأنا كفيل على قومي**» يعنى: المسلمين قالوا: «**نعم**» [١] .

شَيْطَانٌ يَكْشِفُ المَعَاهَدَةَ:

قال كعب: فلما بايعنا رسول الله ﷺ صرخ الشيطان من رأس العقبة بأنفذ صوت

---

(١) الرحيق المختوم ١٤٥ .

سمعته قط: يا أهل الحباحب[١] هل لكم فى مذمم والصباة معه [٢] قد اجتمعوا على حربكم قال: فقال رسول الله ﷺ : «**هذا أزب العقبة**[٣] **هذا ابن أزيب؛ أتسمع عدو الله أما والله لأفرغن لك**».

فِطْنَةُ النَّبِىِّ ﷺ وَحِكْمَتُهُ:

قال كعب: ثم قال رسول الله ﷺ : «**ارفضوا إلى رحالكم**» [٤] قال: فقال له العباس بن عبادة بن نضلة: والله الذى بعثك بالحق: إن شئت لنميلنَّ على أهل منى غدًا بأسيافنا؟ قال: فقال رسول الله ﷺ : «**لم نؤمر بذلك؛ ولكن ارجعوا إلى رحالكم**» قال: فرجعنا إلى مضاجعنا فنمنا عليها ؛ حتى أصبحنا[٥] .

قُرَيْشٌ تُقَدِّمُ الاحْتِجَاجَ إِلَى رُؤَسَاءِ يَثْرِبَ:

لما قرع هذا الخبر آذان قريش وقعت فيهم ضجة وساورتهم القلاقل والأحزان ؛ لأنهم كانوا على معرفة تامة بعواقب مثل هذه البيعة ونتائجها بالنسبة إلى أنفسهم وأموالهم ، فما إن أصبحوا حتى توجه وفد كبير من زعماء مكة وأكابر مجرميها إلى أهل يثرب ؛ ليقدم احتجاجه الشديد على هذه المعاهدة قال الوفد: "يا معشر الخزرج إنه قد بلغنا أنكم قد جئتكم إلى صاحبنا هذا تستخرجونه من بين أظهرنا وتبايعونه على حربنا ؛ وإنه والله ما من حيٍّ من العرب أبغض إلينا من أن تنشب الحرب بيننا وبينهم منكم" .

ولما كان مشركو الخزرج لا يعرفون شيئًا عن هذه البيعة ؛ لأنها تمت فى سرية تامة فى ظلام الليل انبعث هؤلاء المشركون يحلفون بالله ما كان من شيء وما علمناه ؛ حتى أتوا عبد الله بن أُبَىٍّ ابن سلول فجعل يقول: هذا باطل وما كان هذا ، وما كان قومى ليفتاتوا علي بمثل هذا ، ولو كنت بيثرب ما صنع قومى هذا حتى يؤمرونى .

أما المسلمون فنظر بعضهم إلى ثم لاذوا بالصمت فلم يتحدث أحد منهم بنفى أو إثبات ، ومال زعماء قريش إلى تصديق المشركين فرجعوا خائبين .

---

(١) المنازل .

(٢) الصباة: جمع صابي ، وهو الصابئ وكان يطلق على من خرج من الشرك إلى الإسلام .

(٣) اسم شيطانها .

(٤) ارفضوا: تفرقوا .

(٥) ابن هشام ١ / ٢٧٧ .

تَأَكُّدُ الخَبَرِ لَدَى قُرَيْشٍ وَمُطَارَدَةُ المُبَايِعِينَ:

عاد زعماء مكة وهم على شبه اليقين من كذب هذا الخبر؛ لكنهم لم يزالوا يتنطسونه[1]؛ حتى تأكد لديهم أن الخبر صحيح والبيعة قد تمت فعلاً، وذلك بعدما نفر الحجيج إلى أوطانهم فسارع فرسانهم بمطاردة اليثربيين ولكن بعد فوات الأوان إلا أنهم تمكنوا من رؤية سعد بن عبادة والمنذر بن عمرو فطاردوهما، فأما المنذر فأعجز القوم، وأما سعد فألقوا القبض عليه فربطوا يديه إلى عنقه بنسع رحله وجعلوا يضربونه ويجرونه ويجرون شعره؛ حتى أدخلوه مكة فجاء المطعم بن عدى والحارث بن حرب بن أمية فخلصاه من أيديهم إذ كان سعد يجير لهما قوافلهما المارة بالمدينة، وتشاورت الأنصار حين فقدوه أن يكروا إليه فإذا هو قد طلع عليهم فوصل القوم جميعًا إلى المدينة[2].

العِبَرُ وَالعِظَاتُ:

من الدروس المستفادة من بيعتى العقبة الأولى والثانية:

لعل أصحاب الفكر المتسرع الذين يظنون أن الإسلام يمكن أن يمكَّنَ له بضربة خاطفة يعتبرون بما حدث فى بيعة العقبة الثانية وكيف أن الأنصار وهم أهل حرب ودراية وقد عرضوا على رسول الله ﷺ أن يميلوا على أهل الوادى فيقتلونهم فنهاهم ﷺ عن ذلك، وقال: «**إنى لم أومر بذلك**» فتعجل الثمار قد يضيع الجهد المبذول ولا تؤتى الحركة الإسلامية ثمارها وتكون النتيجة خسارة الأفراد الموجودين وضياع دعوتهم فى سبيل مصلحة متوهمة، وهذا شاهد لقول النبى ﷺ لحباب: «**ولكنكم قوم تستعجلون**»[3].

بدأ الإسلام فى يثرب بإسلام ستة من الأنصار الذين عادوا إلى يثرب وكانوا سبب فى إسلام سبعة آخرين، وفى العام التالى عادوا إلى مكة اثني عشر نفرًا وذلك فى بيعة العقبة الأولى ثم عادوا إلى يثرب ومعهم مصعب بن عمير واستمروا فى الدعوة إلى الإسلام؛ حتى عادوا إلى مكة فى السنة التالية بضعة

---

(١) يكثرون البحث عنه ويدققون النظر فيه.

(٢) الرحيق المختوم ١٤٦ - ١٤٧.

(٣) سيرة الرسول أبو عمار ص ١٨٦.

وسبعين بينهم امرأتان ، وذلك فى بيعة العقبة الثانية وهكذا يتبين لنا أن الدعوة إلى الإسلام فريضة على كل مسلم ومسلمة وليست مهمة الأنبياء والدعاة فقط .

٣- اقتضت رحمة الله بعبادة أن لا يحملهم واجب القتال إلى أن توجد لهم دار ولذلك فرض الجهاد فى البيعة الثانية وليست الأولى بعدما انتشر الإسلام فى المدينة .

٤- بيعة العقبة الثانية كانت المقدمة الأولى لهجرته ﷺ إلى المدينة بعد سماع المشركين بخبر البيعة وما ترتب عليه من ترتب الأمر على الرسول ﷺ وإجماعهم الرأى على قتله والتخلص منه .

* * *